

تفسير ابن كثير

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ

وقوله : (وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ) قال العوفي ، عن ابن عباس : أي : وإِنَّكَ لَعَلَىٰ دِينٍ عَظِيمٍ ، وهو الإسلام . وكذلك قال مجاهد ، وأبو مالك ، والسدي ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وابن زيد . وقال عطية : لعلى أدب عظيم . وقال معمر ، عن قتادة : سئلت عائشة عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . قالت : كان خلقه القرآن ، تقول كما هو في القرآن . وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة قوله : (وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ) ذكر لنا أن سعد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فقالت : أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قال : بلى . قالت : فَإِنَّ خَلْقَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ الْقُرْآنَ . وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن سعد بن هشام قال : سألت عائشة فقلت : أخبريني يا أم المؤمنين - عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فقالت : أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ فقلت : نعم . فقالت : كان خلقه القرآن . هذا حديث طويل . وقد رواه الإمام مسلم في صحيحه ، من حديث قتادة بطوله ،

وسياتي في سورة " المزمّل " إن شاء الله تعالى .وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ،
حدثنا يونس ، عن الحسن ، قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - فقالت : كان خلقه القرآن .وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا شريك ، عن
قيس بن وهب ، عن رجل من بني سواد قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - . فقالت : أما تقرأ القرآن : (وإنك لعلی خلق عظیم) ؟ قال : قلت :
حدثيني عن ذلك . قالت : صنعت له طعاما ، وصنعت له حفصة طعاما ، فقلت لجاريتي :
اذهي فإن جاءت هي بالطعام فوضعتة قبل فاطرحي الطعام ! قالت : فجاءت بالطعام .
قالت : فألقت الجارية ، فوقعت القصة فانكسرت - وكان نطعا - قالت : فجمعه رسول
الله وقال : " اقتضوا - أو : اقتضي - شك أسود - ظرفا مكان ظرفك " . قالت : فما قال
شيئا .وقال ابن جرير : حدثنا عبيد بن آدم بن أبي إياس ، حدثنا أبي ، حدثنا المبارك بن
فضالة ، عن الحسن ، عن سعد بن هشام : قال : أتيت عائشة أم المؤمنين فقلت لها :
أخبريني بخلق النبي صلى الله عليه وسلم . فقالت : كان خلقه القرآن . أما تقرأ : (وإنك
لعلی خلق عظیم) وقد روى أبو داود ، والنسائي من حديث الحسن ، نحوه وقال ابن

جرير : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، وأخبرني معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن
جبير بن نفير قال : حججت ، فدخلت على عائشة رضي الله عنها ، فسألتها عن خلق
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فقالت : كان خلق رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - القرآن . وهكذا رواه أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهدي . ورواه النسائي في
التفسير ، عن إسحاق بن منصور ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح
بهومعنى هذا أنه ، عليه السلام ، صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سجية له ، وخلقاً تطبعه ،
وترك طبعه الجبلي ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه . هذا مع ما جبله الله
عليه من الخلق العظيم ، من الحياء ، والكرم والشجاعة ، والصفح ، والحلم ، وكل خلق
جميل . كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال : خدمت رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - عشر سنين فما قال لي : " أف " قط ، ولا قال لشيء فعلته : لم فعلته ؟ ولا لشيء
لم أفعله : ألا فعلته ؟ وكان - صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس خلقاً ، ولا مسست
خزا ، ولا حريراً ، ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا
شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال

البخاري : حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إبراهيم

بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : كان رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس وجهها ، وأحسن الناس خلقا ، ليس بالطويل البائن ،

ولا بالقصير والأحاديث في هذا كثيرة ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب " الشمائل "

.قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن

عائشة قالت : ما ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده خادما له قط ، ولا امرأة

، ولا ضرب بيده شيئا قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله . ولا خير بين شيئين قط إلا كان

أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثما ، فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم

لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمة الله ، فيكون هو ينتقم الله ، عز وجل وقال

الإمام أحمد : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن

عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - : " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق " . تفرد به